تأصيــل الأرقام العربية

أ.د.عبد الوهاب سر الختم أحمد*

يقول الدكتور أحمد مطلوب في مطلع بحثه القيم الموسوم "الأرقام العربية" اكتحلت عيوننا – ونحن صغار – بالحرف العربي المعطاء وبالرقم العربي الوضاء وأشربنا حب لغة نزل بها كتاب العربية الأكبر ، وكنا فرحين بما آتانا الله فخورين بما وهبنا، ومرّت الأعوام فإذا بتلك الفرحة في مهب الريح وإذا بدعاة العامية يرفعون أصواتهم وبعشاق الحرف اللاتيني يزينون الباطل تزينياً.

وتنوّعت الأطراف ، وكان الاستعمار واحداً منها ، وكان عرب الجنسية الأطراف الأخرى ، فقد ظهر كارلو لند برج ووليم ولكسوس وسلدن ولمور وسلامه موسى ولويس عوض وأنيس فريحه وغيرهم من الأذناب. واندفعنا نصاول ، وشاء الله أن يكون النصر لعشاق لغة القرآن ، وأنْ تكون الغلبة للحرف الذي ازدانت به العربية قروناً طويلة . وظننا أنّ تلك المحاولة انتهت برحيل الاستعمار ، وخُيِّل إلينا أنّ الجو قد صفا من بعد كدر ، وتطلعنا إلى المستقبل وخطونا لنبني حاضرنا ولم تمض سنوات على الهجمة الضارية حتى طلعت علينا فتنة جديدة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، ولم تتخذ هذه الفتنة من العامية وسيلة أو الحرف الأجنبي سبيلاً ، وإنما رجعت إلى مخطوطة من القرن السادس للهجرة جاء فيها الرقم قريباً مما يكتبه غير العرب والمسلمين ، واستندوا إلى ما عرف في أوربا من أنّ الرقم فيها عربي الأصول ، وليس أحسن من هذه الأسباب أليس ابن الياسمين صاحب المخطوطة قد ذكر الرقم ؟ أليس الأوربيون قد اعترفوا بأنّ رقمهم عربي النجار؟

ومن هنا بدأت الفتنة تسري ، وأخذت الدعوة إلى تغيير الرقم تأخذ سبيلها في المحافل والمجلات حتى بات المعتز به كالقابض على النار ، وصار من أعداء العروبة والرجعيين، وقد نسى أولئك الدعاة أنّ الرقم العربي المعروف هو الشائع وأن ألف مليون عربي ومسلم يكتبون به وليس هنالك من ضرورة تلح على تغييره مهما كانت الأسباب والدوافع ، ومهما اتضحت عروبة الرقم الثاني . ولم يكن إزاء ذلك إلا أن نلجأ إلى التاريخ نستقرؤه ، والى الواقع نستنطقه ، فكان هذا البحث الموجز معلماً في الطريق ينير السَّبيل ويدفع الحقيقة ناصعة أمام عيون الناظرين ليبصرهم بأنّ الاندفاع في الطريق الجديد لا يخدم العربية ولا يحفظ ميراثها ولا يحقِّق طموحها ، ولأنّ الرجوع إلى مخطوطة عفى عليها الزمن ، والاستناد إلى ما شاع في بعض الأصقاع كالرجوع إلى الخط المسند أو الخطوط التي كانت قبل أن يتطور الخط العربي ويصبح آية من آيات الفن الجميل"[1]. إنّ ما أصاب الدكتور هو عين ما أصابنا وأصاب كثيرين غيرنا ، وقد رأينا أن ندلى بدلونا مع الدلاء ، فكان هذا البحث الذي بين يدي القارئ الكريم.

دعوى أصل الكتابة العربية :

---

* عميد كلية الدراسات العليا ونائب رئيس جامعة الأحقاف باليمن .

[1] الدكتور أحمد مطلوب ، الأرقام العربية ص5–6.

من الآراء الشائعة بين النّاس قديماً وحديثاً أنّ الكتابة العربية ليست عربية بل وضعها آخرون ثم أخذها العرب وطوروها وكذلك الأرقام العربية وضعها الهنود ثم طورها العرب، فما صحة هذه الدعوى؟.

من المعروف أن الحركة التي تسمى بالشعوبية قد حاولت منذ عهد بعيد أن تسلب العرب كل ما ينسب إليهم من مشاركة في بناء الحضارة الإنسانية . وقد تبى للأسف الشديد كثير من العرب والمسلمين آراء الشعوبية هذه دون وعي منهم بخطورتها ودون تحقيق منهم لمعرفة حظها من الخطأ والصواب حتى أنهم تناقلوا أحاديث موضوعة على لسان النبي الكريم (صلي الله عليه وسلم) رغم التحذير الشديد الذي يمنع من ذلك .

وفي العصر الحديث حمل الاستعمار راية الهجوم على العرب مدفوعين بدوافع عدة على رأسها الحقد اليهودي ومن هؤلاء ارنست رينان صاحب الآراء المشهورة التي تزعم أن العقل العربي قاصر بالفطرة إذ أنه لا يستطيع أن يدرك الكليات وغاية ما يستطيعه إدراك بعض الجزيئات ويزعم أنه من أجل ذلك لا يوجد في تاريخ العرب منذ نشأتهم إلى يومه مخترع أو مفكر أو فيلسوف.

وقد أثمرت جهود المستشرقين وآتت أُكلها ، يقول المستشرق (جب) : "أما الآن فقد قُبِلت التأثيرات الغربية في الشرق الأدنى إلى درجة تجعل من الصعب التحقُّق من أنّ أمرءاً ما قد ذهب أو لم يذهب إلى أوروبا أصلاً، فقد أصبح العرب متغربين بدون أن يتكلفوا عبء الذهاب إلى أوروبا "[1].

وما فعله الاستعمار والمبشرون في محاولة محو الثقافة العربية والإسلامية وإحلال الثقافة الغربية محلها معلوم للجميع ،

وفي تقديري أنّ أخطر ما جاء في ذلك دعوتان :

الأولى: الدعوة إلى تغيير الحرف العربي بالحرف الأوروبي.

الثانية: الدعوة إلى تغيير الرقم العربي بالرقم الأوروبي أيضاً .

وقد انتهت الدعوة الأولى بفضل أولئك النفر الذين وفقهم الله إلى الوقوف في وجهها وكشف ما فيها من ضلال وبهتان . أما الدعوة الثانية فلم يكن حظها كالأولى ولذا نجدها قد انتشرت بين الكتاب والمؤلفين استشراء النار في الهشيم ، فصرنا نراها في الكتب والمجلات ودخلت باب الإعلام فصارت تصول وتجول على الشاشة البلورية وصار يقلِّدها الأطفال حتى نسوا أو كادوا الرقم العربي الأصيل.

وكما هو معلوم لدى الجميع فإنّ هدف الاستعمار والاستشراق هو محو القرآن الكريم من الوجود – جعل الله كيدهم في نحرهم – وقد صرح كثيرون منهم بذلك، مثال على ذلك المستشرق شاتلي الذي يقول :" إذا أردتم أن تغزوا الإسلام

---

[1] الدكتور على محمد ومحمد شريف ، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص30-34.

وتخضدوا شوكته وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها والتي كانت السبب الأول والرئيسي لاعتزاز المسلمين وشموخهم وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم ... عليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الإسلامية وبإماتة روح الاعتزاز بماضيهم وتاريخهم وكتابهم القرآن وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم ونشر روح الإباحية ، وتوفير عوامل الهدم المعنوي... "[1].

ومعلوم أنّ القرآن الكريم كتب بالحروف العربية ورُقِّمت آياته بالأرقام العربية ، هكذا هي في أيدي ملايين من البشر مسلمين وغير مسلمين . وقد أخذت هذه الحروف وهذه الأرقام قداسة عند كثير من المسلمين ، وإثارة الشكوك فيها لا شك في أنه سوف يحدث اهتزازاً في عقول الشباب واضطراباً في نفوسهم ، والذين أثاروا هذه الشكوك يعلمون ما تحدثه علماً يقيناً ، ولكن قومي لا يعلمون .

هذا وللوقوف على هذه القضية لا بد من دراسة تاريخ الحضارة العربية.

تاريخ الحضارة العربية :

رأيت أنْ أبحث عن تاريخ الحضارة العربية في القرآن الكريم ، وهي عادة درجت عليها بحمد الله تعالى منذ عهد بعيد وكنت دائماً أجد بغيتي في هذا الكتاب العزيز[2].

ثم رأيت بآخرة أن هذا هو ديدن الصالحين إذ يقول الإمام عبد الله علوي الحداد " كل أمر يشكل عليك فهو في القرآن "[1]. ويقول في موضوع آخر " والقرآن فيه كل شئ ، ألا إنّه { ما يعقله إلا العالمون} وعهدة بيانه إلى النبي (ε) على الاجمال وتفصيله إلى العلماء وهو الاستنباط ، وشئ يبيّنه للناس هذا البيان لأنّ الاستنباط ليس كالوحي ... "[2].

يحدثنا القرآن الكريم عن أربع من الأمم أول الخلق هم قوم نوح وعاد قوم هود ثم عاد الثانية ثم ثمود قوم صالح عليهم وعلى نبينا صلاة الله وسلامه.

وذكر القرآن الكريم أنّ صالحاً (عليه السلام) قال لقومه (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) [الأعراف آية :74].

وذكر أن هوداً (عليه السلام) قال لقومه (وأذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قـــوم نـــــوح) [الأعراف آية :69]

وقال عن عاد الأولى هذه (وأذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقـــاف) [الأحقاق آية:21].

وقد أخبرنا القرآن أن الله أهلك ثلاثاً من هذه الأمم " (وأنه أهلك عاداً الأولى . وثمود فما أبقى ، وقوم نوح من قبل) [النجم آية:52،50].

---

[1] شاتلي، غزو العالم الإسلامي، ص264.

[2] من أجل ذلك قدمت أربع رسائل دكتوراة في القرآن الكريم نوقشت وأجيزت بحمد الله تعالى وكدت أناقش الخامسة قبل سبع سنين ، وكتبت عدة كتب في موضوعات استنبطتها من القرآن الكريم.

[1] عبد الله بن علوي الحداد ، كتاب تثبيت الفؤاد ،ج1، ص236.

[2] المرجع السابق، ص282.

نعلم من هذا التقرير القرآني الواضح أنّ هذه الأمم الأربع كانت بالأحقاف بحضرموت ، ونعلم من القرآن الكريم أنّ قوم نوح لم يكن على وجه الأرض في زمنهم غيرهم ، لأنّ الله أهلكهم بالطوفان الذي عمّ الأرض كلها ، قال تعالى (وهي تجري بهم في موج كالجبال) [هود آية:42].

ومن هنا نعلم أنّ سيدنا آدم (عليه السلام) كان قد عاش في حضرموت بالأحقاف في المكان الذي عاش فيه قوم نوح وقوم هود ،عاد الأولى وعاد الثانية وقوم صالح ثمود، لأنّ هؤلاء كان بعضهم خلفاء بعض كما ذكر القرآن الكريم ثمّ رأيت أقوالاً كثيرة قديمة وحديثة تؤيّد هذا الرأي وسأعرضها باختصار شديد.

أولاً : ذكر الإمام الطبري روايات عن مجاهد وسفيان وقتادة أنّ الجبل الذي استوت عليه سفينة نوح بالجزيرة ، وخالفهم الضحاك وزعم أنه بالموصل ، ولعلّ الضحاك قد تأثَّر بالإسرائيليات، لأنّ هذا ما جاء عن اليهود ففي سفر التكوين الثامن أنّ السفينة استقرت على جبل أراراط في شمال العراق . وفي مقال كتبه الأستاذ على أبو عامرية في صحيفة الثورة اليمنية بتاريخ 2000/8/20م ذكر أنّ سفينة نوح كانت في حضرموت بالقرب من مدينة تريم، رداً على مقال نشرة الدكتور بيوار حنيس في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 2000/8/16م زعم فيه أنّ سفينة نوح استقرَّت في كردستان.

ونحن نتفق مع الأستاذ على أبي عامرية على أنّ سفينة نوح كانت في حضرموت لأنّ هذا ما تؤيده الشواهد الكثيرة ومنها الإشارة القرآنية الواضحة كما سلف به البيان ، على أنّها ليست بالقرب من تريم كما ذكر الأستاذ والذي بالقرب من تريم هو قبر سيدنا هود (υ) إذ الظاهر أنّهم ذهبوا إلى هنالك بأمر من الله تعالى حتى لا يصيبهم العذاب الذي حاق بالكافرين وهي الريح العقيم وقد انتقل نبي الله هود إلى الرفيق الأعلى قبل أن يرجع قومه إلى موطنهم الأصلي بالأحقاف. كما توفي سيدنا موسى عليه السلام(عليه السلام) بالتيه قبل أن يذهب قومه إلى أرض الميعاد ، وبهذا يُحَلْ الإشكال الذي وقع فيه بعضهم.

ثانياً : ذكر بعض المفسرين والمؤرخين القدماء أنّ عاداً يسكنون الشحر [1] وفي تقديري أن الجبل الذي استوت عليه سفينة نوح هو جبل كورسيبان وتقع الشحر بينه وبين البحر وهو أعلى جبل في حضرموت لا يتعدى ارتفاعـه "7088" قدماً وقمته عبارة عن ارتفاع تدريجي[2].

وصف هذا الجبل الذي يناسب استقرار السفينة عليه وما ذكره الإمام الطبرسي نقلاً عن أصحاب التواريخ والسّير وإشارة القرآن الكريم إلى أنّ قوم هود كانوا خلفاء لقوم نوح، كل هذا شواهد متضافرة على أنّ قوم نوح (عليه السلام) كانوا بالشحر قبل الطوفان ثم عادوا إليها بعد الطوفان .

---

[1] الطبري ، مجمع البيان ج1،ص228

[2] دانيال فان درميولين – حضرموت ،ص70

ثالثاً: رأيت العلماء المحدثين من جيولوجيين وجغرافيين ومؤرخين يرجحون أن تكون حضرموت هي موطن الإنسان الأول ، فقد ذكروا أنّ الأرض حين انفصلت عن الشمس -حسب تقديرهم – كانت ملتهبة ناراً ثم بردت ومرت بأربعة أطوار كانت مغطاة بالجليد ، وبعد العصر الجليدي الرابع بدأت الأرض تكون صالحة للسكنى وأول منطقة صلحت للسكنى هي حضرموت [3].

رابعاً: من المرجَّح أنّ الإنسان الأول قد عاش في حضرموت قبل مائة ألف سنة ، وقد وجد الجيولوجيون آثاراً علموا منها أنّ الإنسان عاش قبل ثلاثين ألف سنة في أسبانيا ، ومعلوم أن أوروبا قد تأخرت كثيراً عن آسيا وأفريقيا في صلاحيتها للسكنى[4].

ثم رأيت القرآن الكريم يحدِّثنا عن عاد الأولى بأنهم قد بلغوا درجة رفيعة في الحضارة والرقي والعمران والصناعة قال تعالى (كذبت عاد المرسلين . إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون . إنّي لكم رسول أمين . فأتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين . أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لكم لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين) [الشعراء آية 123-130]، لأنّ الله وهبهم قوة في الجسم وصحة في البدن (وزادكم في الخلق بسطـــة) [الأعراف آية:69]، ولو أنهم آمنوا وأتقوا لضاعف لهم تلك القوة (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم) [هود آية:52]. كما قال لهم نبيهم ، غير أنهم لم يفعلوا (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشدّ منا قوة) [فصلت آية 15].

وما بلغوا من القوة المادية جسمية وعمرانية وصناعية، لم يبلغه أحد غيرهم كما أخبر المولى جل جلاله (ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد) [الفجر آية 6-8].

ثم جاءت ثمود بعد عاد وواصلوا بناء الحضارة وتعمير الأرض بالمباني والمزارع والصناعات كما أخبر الله تعالى (وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض وأستعمركم فيها) [هود آية :61]. وقال لهم سيدنا صالح (ט) (أتتركون في ما هاهنا آمنين . في جنات وعيون. وزرع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) [الشعراء آية: 146- 149]. وقال عز من قائل عنهم (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) [الفجر آية :9].

ومن الراجح أنّ الحضارة قد بدأت قبل عاد، ولكن في زمن عاد بلغت مدى بعيداً كما سلف به البيان . ومن الدلائل على تطور الحضارة قبل عاد أنّ سيدنا نوحاً (عليه السلام) قد بنى سفينة كبيرة قوية حملت مخلوقات لا تحصى عدداً ، قال تعالى (قلنا احمل فيها من كل زوجين أثنين وأهلك...) [هود آية:40]. ورغم هذا الحمل الكبير استطاعت مصارعة الأمواج

---

[3] القاضي عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد، اليمن ، الإنسان والحضارة، ص13

[4] المرجع السابق 15–16.

(وهي تجري بهم في موج كالجبال) [هود آية 42]. وذلك لأنها كما قال عنها القرآن الكريم (وحملناه على ذات ألواح ودسر) [القمر آية 13].

الكتابة العربية :

وقد يتسآءل القارئ الكريم قائلاً : وما علاقة قوم نوح وعاد وثمود بالعرب وبالكتابة العربية ؟ ونجيب بأنّ العلاقة جد قوية لأنّ الراجح عند بعض المحققين أنّ قوم نوح وعاد وثمود هم أوائل العرب ، أو قل هم أجداد العرب الذين أُطلق عليهم العرب البائدة ، لأنّ الله أهلكهم جميعاً وقد وجدت أدلة وبراهين على ذلك منها على سبيل المثال :-

أولاً : ذكر النسَّابون العرب أنّ نبي الله هوداً (عليه السلام) المسمى قحطان أو يقطن هو أبو الشعوب العربية ، وقالوا إنّ يعرب بن قحطان هو الذي تنسب إليه العربية[1].

ثانياً : ذكر اللُّغويون أنّ اسم سيدنا نوح (عليه السلام) وأسماء الآلهة في عصره وهي ود وسواع ويعوث ونسر كلها أسماء عربية وأنّ هوداً وصالحاً إسمان عربيان.

ثالثاً : جاء في دراسات بعض المستشرقين ما يؤيِّد آراء النسابة العرب من ذلك ما ذكره أحد المستشرقين حين قال :" إنّ اليمن وحده هو الذي يستطيع أن يطالب تاريخنا بلقب " مهد العروبة " . وقال المستشرق "لورنس" : "اليمن هو مصنع العرب" . وقال المؤرخ "مولر" إنه جاء ذكر المعينيين في أقدم نص بابلي عليه نقش بالمسمارية تاريخه عام خمسين وسبعمائه وثلاثة آلاف قبل الميلاد "[1].

ومن هذا الذي يخبرنا به أصح المصادر اطلاقاً وهو القرآن الكريم ، نعلم أنّ الحضارة لم تنتقل من بلاد الهند والفرس والصين إلى بلاد العرب كما شاع خطأ ورددده الكثيرون دون دليل ولا برهان ، بل العكس هو الصحيح فقد انتقلت الحضارة من بلاد العرب إلى بقية البلاد . وهذا ما يخبرنا به القرآن الكريم في آياته الواضحات البينات.

ولعله من المناسب بل من الواجب أن نذكر هنا أنّ أكثر العلماء والباحثين قديماً وحديثاً لم يعتمدوا في بحوثهم على هذا المرجع الموثوق بلا ريب للغاية حتى يصلوا إلى الحقائق المجردة من الضلال والبهتان.

هذا وقد وجدت في بعض كلام العلماء والباحثين ما يؤيِّد الاستنتاج الذي استخلصناه من القرآن الكريم.

يقول القاضي عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد :" اليمن مجد الساميين – العرب القدامى – وهو مهد الحضارة ومنه استمد السومريون والبابليون وقدامى المصريين وغيرهم العلوم والحضارة ونقلوها إلى الفرس واليونان والرومان "[2].

---

[1] السلطان غالب بن عوض القعيطي ، تأملات عن تاريخ حضرموت، ص6

[1] القاضي عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد، اليمن الإنسان والحضارة ، ص26-27.

[2] المرجع السابق ،ص319

ويرى بعض الباحثين أنّ الكتابة ظهرت في التاريخ مع بداية الحضارة التي حدثنا عنها القرآن الكريم أي عند عاد الأولى وربما قبل ذلك . يقول الباحث الشماحى :" ويرى أكثر المؤرخين الاخباريين وجماعة من الآثريين أنّ العمالقة كانوا باليمن وأنّ منهم ومن عاد من أقام باليمن ومنهم من هاجر إلى العراق وإيران والشام وأفريقيا الشرقية منسابين منها إلى وادي النيل وشمال أفريقيا وغيرها حاملين معهم حضارتهم ومعلوماتهم، ولعل منها الكتابة البدائية كرموز للتدوين والتصور والذي منه اقتبست الحضارة السومرية والفرعونية والايجية فيما اقتبست الكتابة ، فطورتها ثم اهتدت إلى نقشها وتدوين الأخبار بها على الأحجار والبردي وألواح الطين المجفف مما حفظ الكتابة وأخبار الأمم "[1].

بل يؤكِّد بعض الباحثين الأوربيين على أنّ الكتابة ظهرت في حضرموت منذ فجر التاريخ . يقول المستكشف والمؤرخ البريطاني فيلبي وهو المشهود له بقلة استخدام المدح إلا في حالات استثنائية ، عن حضارة منطقة حضرموت في العصور الموغلة في القدم ، أمام الجمعية الملكية الجغرافية في لندن أثناء الفترة الممتدة للنقاش لمحاضرة في 18 ديسمبر 1944 م محرم 1364هـ ما يلي نصه:-

"سيداتي سادتي : أُريد أن أوكِّد لكم بأنكم كنتم تبصرون هذه الليلة على مناظر وعلى شعب ينتميان إلى بلد كان مصدر أبكر مراحل الحضارة البشرية . ولا اعتقد بأنني أبالغ عندما أذكر بأنّ هؤلاء النّاس الذين شاهدتم صورهم في هذه الليلة ينتسبون إلى ذلك الشعب الذي أخترع الأحرف التي تستخدمونها اليوم والتي ترتكز عليها حضارتكم . إنّ هذا الشعب وإنّ لم يكن حالياً في عصر أوج سلطانه ، هو الذي تعود إليه بداية تدوير دواليب كرة التطور الحضاري ، فإنه أهل لكل التقدير والإعجاب اللذين بإمكاننا أن نقدِّمها له مقابل هبته العظيمة للحضارة التي نفخر بها غاية الفخر "[2].

وهذا الذي وصل إليه هذا الباحث المحقِّق هو الذي أشار إليه القرآن كما سلف به البيان.

وأيضاً من الإشارات القرآنية لظهور الكتابة في فجر التاريخ الإنساني قوله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) [الكهف آية،9]؛ فقد اضطربت الأقوال في معنى الرقيم ، روى الطبري عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج أنّ الرقيم اسم جبل أصحاب الكهف . وروى عن كعب أنّ الرقيم القرية التي كان بها أصحاب الكهف وروي عن عطية أنّ الرقيم وادي بين عسفان وأيلة دون فلسطين وهو من أيلة [1].وواضح أنّ هذا من الإسرائيليات إذ أرادوا أن يزعموا أن أصحاب الكهف كانوا من بني إسرائيل.

وروى الطبري عن سعيد بن جبير أنه قال : الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه علي باب الكهف . وروي عن ابن زيد أنه قال: الرقيم كتاب ، وقرأ (وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم . يشهده المقربون) [المطففين آية،19] : (وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم) [المطففين آية9،8]. وعقب الطبري بقوله :" قال أبو جعفر : وأولى

---

[1] المرجع السابق ، ص26

[2] السلطان غالب بن عوض القعيطي، مرجع سابق ص9

[1] الطبري، جامع البيان ، ج9، ص247.

هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنياً به : لوح أو حجر أو شئ كتب فيه كتاب . وقد قال أهل الأخبار إنّ ذلك لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين آووا إلى الكهف [2] .

وقد تحقق الباحثون الآن بما لا يدع مجالاً للشك أنّ أصحاب الكهف كانوا باليمن في مدينة تعز ، ولا يزال الكهف موجوداً وكذلك المسجد.

وكما اضطربت الأقوال في مكانهم اضطربت أكثر في زمانهم . والذي أرجحه استنباطاً من الإشارات القرآنية أنهم كانوا بعد عهد سيدنا إبراهيم (عليه السلام) بقليل وأنهم كانوا على دينه . وذلك من قوله تعالى (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً) [الكهف آية ،21] . فقد سمُّوا دور عبادتهم مسجداً ، وهذا خاص بالمسلمين أصحاب الحنفية من أتباع سيدنا إبراهيم وسيدنا محمد عليهما أفضل الصلاة وأتّم التسليم . وقد جاءت دور العبادة عند أصحاب الديانات السماوية مفصَّلة في القرآن الكريم قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) [الحج آية،40].

والرَّاجح أنّ الصوامع للصائبة كما قال قتادة، والبيع لليهود كما قال مجاهد وابن زيد، والصلوات للنصارى كما قال ابن عباس وقتادة [1]. أما المساجد فهي للمسلمين . ويبدو أنّ مسجد أصحاب الكهف كان على غرار المسجد الحرام أول بيت أُسِّس للنّاس وهو الذي بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) [البقرة آية، 127].

كل هذه الأدلة تتضافر جميعاً لتدل على أنّ الكتابة ظهرت لأول مرة في حضرموت في أوَّل عهد الإنسان بالحياة على ظهر الأرض، وأنّها كانت الكتابة العربية لأنّ الدلائل تشير إلى صحة ما ذهب إليه الإمام الطبري وأستاذنا البروفسير عبد الله الطيب وآخرون بأنها، أي اللغة العربية هي اللغة التي تكلم بها سيدنا آدم (عليه السلام) وأحفاده إلى عهد نوح وهود وصالح عليهم السلام ثم بدأت تظهر اللغات الأخرى بعد ذلك. ولعل اللغة العبرية هي أول اللغات ظهوراً بعد العربية . وذلك لقرب العهد بين سيدنا صالح وسيدنا إبراهيم . ويبدو أنهم اخترعوا لغتهم بعد هجرتهم من جزيرة العرب إلى بلاد الرافدين قبل عبورهم النهر على فلسطين بدهر طويل والله أعلم .

هذا وقد ثبت للباحثين أنّ الإنسان له القدرة وكذلك الميل إلى إيجاد اللغة وخاصة بعد الهجرات الجماعية الكبرى لأنّها تصيب الإنسان بتغيرات عقلية ونفسية وجسمية كما يقول الدكتور التجاني الماحي رحمه الله .و يقول الدكتور محمود فهمي زيدان : "... المدرسة اللُّغوية الأمريكية المعاصرة التي يقودها نعوم تشومسكي الذي يتعمَّق في البحث في منشأ قواعد اللُّغة

---

[2] المصدر نفسه ،ص248-249

[1] روى ذلك مفصلاً الإمام الطبري في جامع البيان ،ج10،ص230-233.

، ويحاول تفسير ظاهرة تأليف الطفل تركيبات لغوية جديدة لم يسبق له تعلُّمها ، ويجعل هذه الظاهرة شاهداً على وجود قدرة فطرية في العقل الإنساني على إنشائها تتسق مع تركيب الواقع الذي نعيش فيه "[1].

ومن هنا يظهر لنا بطلان القول بأنّ العرب أخذوا الكتابة عن غيرهم ونسبوها إلي أنفسهم أي أنها ليست عربية وسُمِّيّت عربية ، وهو قول لا دليل عليه من المنقول ولا من المعقول ولا من شواهد القرائن ، بل الدَّليل على خلافه في كل ذلك كما سلف به البيان.

ولعلّ مما يُستأنس به في هذا المقام زيادة في البيان وتأكيداً في الدَّليل والبرهان حفاوة القرآن الكريم بهذه الحروف العربية ، فالمعلوم بداهة أنّ الله سبحانه وتعالى قد اختار اللُّغة العرَّبية وعاءً لكتابهِ الخالد ، ومما لا شكّ فيه أنّ وراء ذلك سرَّاً قد يدركه البشر وقد لا يدركونه ، والرَّاجح أنهم سيدركونه لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يخاطب الناس بشيء يستغلق فهمه على جميع البشر كما بيَّن ذلك أوضح بيان شيخ المفسرين الإمام الطبري . وقد حاول كثير من العلماء من عهد الصحابة إلي اليوم الكشف عن سر وجود الحروف المقطَّعة في أوائل بعض السُّور. وقيل في ذلك كثير من الآراء المتباينة والمختلفة اختلافاً كبيراً بين مشرق ومغرب. وأرجح الأقوال حسب تقديرنا هو القول بأنها إشارة إلى حروف المعجم لأنه القول الذي حمل معه دلائلاً تؤيّده وتشدُّ من أزره . من ذلك ما أورده الإمام النسفي من حقائق عن هذه الحروف ، قال : " واعلم أنّ المذكور من الفواتح نصف أسامي حروف المعجم وهي الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون . في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم . وهي مشتملة على أنصاف أجناس الحروف ، فمن المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ، ومن المجهورة نصفها الألف والكاف والطاء والقاف ، ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والعين والسين والحاء والياء والنون ، ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والخاء والعين والسين والحاء والياء والنون، ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والخاء والعين والسين والحاء والكاف والياء والنون، ومن المستعلية نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون، ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء"[1].

الأرقام العربية:

الأرقام العربية المعروفة لدينا هي الأرقام الأصيلة التي وضعها العرب الأقدمون على غير مثال سابق كما شاع خطأ بين الناس وهذا ما توصَّل إليه الباحثون المحقِّقون.

---

[1] الدكتور محمود فهمي زيدان ، في فلسفة اللغة، ص9.

[1] الإمام النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج1،ص9-10

والأرقام المنسوبة إلى العرب قسمان : الأرقام المشرقية والأرقام الغبارية. وقد زعم بعضهم أنّ الأرقام المشرقية أصلها هندي والغبارية أصلها عربي ثم أخذها الفرنجة وهي التي يكتبون بها الآن . ولذا نادوا بأن يكتب بها العرب ويتركوا الأرقام المشرقية تأصيلاً للأصل في زعمهم . وذهب آخرون إلى أنّ الأرقام المشرقية والأرقام الغبارية كلتيهما وضعها العرب. وفريق ثالث يعكس الرأي الأول ويرى أن الأرقام الغبارية أصلها هندي والمشرقية هي التي وضعها العرب.

وسوف نحاول في هذا البحث أن نرى أدلة كل فريق لاختيار الأقوى والأصوب وبالله التوفيق.

الأرقام الغبارية:

قالوا في سبب التسمية أن الهندي كان يستعمل في حسابه اللوح والتراب، حيث يرش التراب على اللوح فيعلق به الغبار، ثم يخلط الأرقام بأصبعه أو بشيء آخر ، ومن هنا عرفت الأرقام بحروف الغبار[1]. وهذا الزعم لا دليل عليه وهو ظاهر الوضع مهلهل النسج ضعيف الحبك.

إنّ أقدم مرجع وصل إلينا يحكي أشكال الأرقام الغبارية هو كتاب" تلقيح الأفكار في العمل برسوم الغبار" لابن الياسمين المتوفي سنة 601هـ[2].

وقد زعم بعضهم أن الأرقام الغبارية المغربية استعملت بمصر في القرن الثالث الهجري، وهو زعم لا دليل عليه ولاحظ له من الصحة. يدّلك على ذلك أنّ بعض علماء المغرب أنفسهم شكّكوا في صحة هذه الدعوى ومن ذلك قول الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله :"ويذكرون أن أوراق البردي المصرية القديمة الراجعة إلى القرن الثالث الهجري، قد استعملت الأرقام الغبارية . ولكننا نتسآءل : لماذا لم يتابع المصريون في القرون التالية استعمال هذه حيث عدلوا عنها- إذا صح أنها استعملت حقيقة – إلى الأرقام الهندية والعربية المستعملة الآن في الشرق "[3].

ويرى الدكتور قاسم على سعد أنّ ذلك قد يكون من كلام بعض المستشرقين الذين يلقون الكلام على عواهنه، حسب تعبيره، يقول: " بل إنّ أحد المستشرقين ذكره في سياق الحديث عن الأرقام المشرقية دون المغربية، قال الدكتور البرت ديتريتش في بحثه: دور العرب في تطور العلوم الطبيعية صفحة 737: " وأقدم وثيقة خطية عن تداول الأرقام الهندية في الشرق الإسلامي هي بردية عربية كُتبت في مصر عام 260 للهجرة"[1].

ويقول الدكتور قاسم: "اتفق عقلاء الشرق والغرب وعلماؤهم من مسلمين وغير مسلمين على أنّ الأرقام المستعملة اليوم في ديار الفرنجة وغيرها مقتبسة – مع علوم كثيرة – من العرب والمسلمين، فقد بهرت الأرقام الغبارية برموزها

---

[1] أحمد سليم سعيدان، قصة الأرقام والترقيم،ص78.

[2] الدكتور قاسم على سعد ، مجلة الأحمدية العدد الثالث، أبريل 1999م، ص262.

[3] عبد العزيز بن عبد الله، العالم العربي متجه نحو استعمال الأرقام العربية المغربية، ص46.

[1] الدكتور قاسم على سعد ، مجلة الأحمدية، العدد الثالث،ص262.

وطريقة استعمالها ونظامها العشري هؤلاء الغربيين ، فأبدلوا بأرقامهم المتوارثة -الأرقام الرومانية - الأرقام الغبارية . وليس أدلّ على هذا من إقرارهم مع ابن ياسمين من رسم الأشكال الغبارية".

قال "هيوستن بانكس" أحد أساتذة الرياضيات الغربيين في كتابه الرياضيات الحديثة: باستطاعة المرء استعمال الأعداد الرومانية في حالة الجمع ، أما إذا حاول إجراء عمليات الضرب والقسمة فهنا تتميز الأعداد العربية التي توفر لنا الوقت والمادة الحسابية المضبوطة"[2].

وللمستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه" في كتابها الجيد ، كلام أوضح في هذا المقام وهو قولها: " فكل الأمم المتحضرة تستخدم اليوم الأرقام التي تعلمها الجميع من العرب، ولولا تلك الأرقام لما وجد اليوم دليل تلفونات أو قائمة أسعار أو تقرير للبورصة . ولما وجد هذا الصرح الشامخ من علوم الرياضة والطبيعة والفلك، بل لما وجدت الطائرات التي تسبق الصوت ، أو صواريخ الفضاء. لقد كرّمنا هذا الشعب الذي منّ علينا بذلك الفضل الذي لا يقدر حين أطلقنا على أرقام الأعداد عندنا اسم الأرقام العربية"[1].

كما أن الدكتور "البرت ديتريش" أحد المستشرقين الألمان لم يغفل عن هذا التذكير . بل قال : " فاعتناق هذه الأرقام وإصلاحها ونقلها إلى الغرب مأثرة ثقافية باهرة كتبها العرب لأنفسهم ، وخلدت في تاريخ الحضارة بخلود العلم، والحياة اليومية تردد ذكراها على الإنسان الواعي"[2].

انتقالها إلى أوربا:

يقول الدكتورسعد: "ذكر جماعة من الباحثين أن جيربير "318–394هـ 930- 1003م" الذي ولى البابوية سنة 999م والذي أدخل الأرقام العربية والنظام العشري إلى أوربا بعد أن تلقاها من علماء المسلمين في الأندلس السليب" [3]. بل قالت هونكه "ولم يعرف الغرب قبل هذا الرجل علم الرياضيات "[4].

يعلِّق الدكتور سعد على قولها: " فهذا يدل على أن علوم الحاسوب يرجع فضلها إلى علماء العرب المسلمين، أي أن التقنيات الحديثة تغذت بلبان الحضارة الإسلامية الزاهية "[5].

ويقول الدكتور محمد عبد الحكيم بخاري وكذلك المصادر الغربية تقول أنّ الأرقام العربية قد انتقلت إلى أوربا عبر أسبانيا في حدود عام 976م.

---

[2] نقلاً عن الموجز في التراث العلمي العربي الإسلامي ، لعلى عبد الله المدفاع ،ص56.

[1] زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب،ص68.

[2] ألبرت ديتريش، دور العرب في تطور العلوم الطبيعية ،ص727.

[3] الدكتور قاسم على سعد،الأحمدية العدد الثالث ، ص270.

[4] زيغريد هونكه، مصدر سابق ،ص78.

[5] الدكتور قاسم على سعد، الأحمدية ، العدد 3،ص270

إنّ أقدم مخطوط تم فيه كتابة الأرقام الجديدة يوجد في شمال أسبانيا ، وترجع الوثيقة إلى عام 976م. ومخطوطة " فجيليانس" والتي تحفظ الآن في مكتبة مدريد، حيث يحتوي على وصف الأرقام من 1-9 وبدون الصفر[1].

ثم أورد صورة من الصفحة التي رسمت فيها الأرقام، وقد كتبت من اليمين إلى اليسار. ولكن الأوربيين قد احتاجوا إلى زمن بعد هذا حتى انتشرت تلك الأرقام في ديارهم، فرحل الكثيرون منهم إلى ديار الإسلام القريبة ناهلين من هذا المعنى[2].

وأما مدى تصرُّف الغربيين في أشكال الأرقام الغبارية ، فإنّه بإلقاء نظرة على الأرقام المغربية التي أوردها ابن الياسمين مع مقارنتها بما يستعمله الغربيون اليوم يظهر التفاوت الواضح في عدد من أشكال أرقام المجموعتين . بل إنّ الأرقام التي توجد في مخطوطة (فجيليانس) المدونة باللاتينية، يختلف بعضها عما شاع بعد ذلك في الغرب.

وأمر طبيعي أنْ يقوم الغربيون بشيء من التعديل في الأرقام العربية التي اقتبسوها لتناسب طريقة كتابتهم وتتلاءم مع حروفهم . يقول الدكتور أحمد مطلوب:

"ويلاحظ مما ذكره ابن الياسمين ، أن النوع الأول هو الذي انتقل إلى أوربا والعالم الأجنبي فيما بعد ، ولكنه ليس كالمستعمل الآن، لأنّ الأربعة والخمسة تشذان عن ذلك، أي أنه تطور حينما انتقل ليلائم الحرف اللاتيني، ولذلك لا يمثل هذا التطور أصالة الرقم العربي "[3]، ثم قال " أنّ الرقم الأجنبي عربي، ولكنه مغترب " ثم أضاف " أنّ الرقم العربي " . ثم قال " أنّ الرقم الأجنبي عربي ، ولكنه مغترب : ثم أضاف " إنّ الأرقام الغبارية لا تتفق كل الإتفاق مع ما طوره الأوربيون، أي أنّ الصورة عربية النجار أوربية الدثار"[1] .

وقال الدكتور محمد السمان:" فمن علوم العرب المسلمين اقتبس الغرب الأوربي ... ومن جملة هذا الميراث الكبير الذي نقلوه كانت الأرقام الغبارية التي تمكَّنوا من تطويرها إلى ما يتناسب مع أشكال حروفهم الكتابية وحوروها من ثم لتقبل التكيُّف مع طريقتهم في الكتابة من اليسار إلى اليمين وتأتلف مع أشكال حروفهم في الاستدارة"[2].

الأرقام المشرقية:

ذكرنا سابقاً أنّ ابن الياسمين أقدم مصدر وصل إلينا يحكي أشكال الأرقام الغبارية، وقد حكى أشكال النوعين ، وأشار إلى أنّ الناس عندهم – أي في المغرب- على الوضع الأول الذي هو الأرقام الغبارية. وللدكتور قاسم السامرائي إشارة مهمة على قول ابن الياسمين " ولكن الناس عندنا على الوضع الأول " وهي قوله " يريد أهل الحساب"[3]. أي أنّ غيرهم من علماء المغرب وعامتهم على الوضع الآخر. بل إنّ علماء الحساب المغاربة لم يهتبلوا أرقامهم اهتبال المشارقة لأرقامهم . وفي هذا

---

[1] الدكتور محمد عبد الحكيم بخاري، الأرقام العربية،ص50.

[2] الدكتور قاسم على سعد ، الأحمدية ، العدد 3،ص271.

[3] الدكتور أحمد مطلوب ، الأرقام العربية،ص17.

[1] المرجع السابق ،ص19.

[2] الدكتور محمد السمان ، أرقامنا العربية الحالية، ص46.

[3] الدكتور قاسم السامرائي، تاريخ الخط العربي وأرقامه،ص21.

يقول الخبير المعاصر الأستاذ الدكتور أحمد سليم :" الترقيم الهندي الذي يعرض الكتب المغربية كأنه إضافة من الكماليات وكأنه لم يوظف لتسهيل العملية الحسابية ، فالأعداد تكتب بالكلمات كما تلفظ، وبالكلمات يجري الشرح، حتى إذا حصل الحاسب على النتيجة النهائية ذكرها بالكلمات، وأضاف في النهاية : وهذه صورتها. وهنا فقط تظهر الأرقام الهندية . ولكنه – يعني الحاسب المشرقي- كان إذا وضع كتاباً في الحساب، ولا سيما بعد القرن الرابع يرمز إلى الأعداد بأرقامها الهندية، ويجري العمليات الحسابية على هذه الأرقام ، وهذا ما لا نجده في الكتب المغربية . إنّ الترقيم الهندي كان غريباً في المغرب الإسلامي أكثر من غربته في المشرق" [1].

ويؤكده قول الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب: " ولكن الأولى – يعني الأرقام المشرقية -منها أكثر عراقة وأبعد انتشاراً وأشد التصاقاً بالميراث العربي والإسلامي، وأوضح أثراً في كنوز الخط العربي. أخذت الأرقام الهندية تنتشر وتتطور في بلاد العرب والإسلام منذ القرن الثالث للهجرة ، غير أن الغبارية لم تنتشر في المغرب العربي إلا بعد مئات السنين وظلّت أحرف الأرقام المشرقية سائدة في مجملها جميع بلاد المشرق العربي والإسلامي. وتطورت مع تطوُّر الحرف العربي وأنواع الخطوط العربية والفارسية والعثمانية مسايرة بذلك ليونة هذا الحرف وميزاته الإنسيابية في مختلف الخطوط المعروفة .أما أحرف الأرقام الغبارية فلا شك في أصالتها وجمال بعض الصور التي انتهت إليها في مختلف بلدان العالم وهي تتلاءم كثيراً مع الخطوط المزواة وغير اللينة".

كما توسع في ذلك الدكتور أحمد مطلوب مبيّناً إنتشار الأرقام المشرقية حتى في بلاد المغرب: " لقد ثبت أن الأرقام المشرقية هي الأصل، وأنها هي التي شاعت قديماً وحديثاً، واستعملت في المخطوطات العامة أو في مخطوطات الحساب. وكان الجزائريون إلى سنوات قليلة يذيلون مخطوطاتهم بالأرقام المعروفة، ومن ذلك ما جاء في خاتمة : " إتحاف المصنفين والأدباء في الإحتراس من الوباء " لحمدان خواجة المولود في الجزائر العاصمة سنة 1189هـ فقد ذكر أنه انتهى من كتابه سنة 1252هـ . وغير ذلك كثير جداً.ولذلك فليس صحيحاً ماذهب إليه الحميدي من أنّ الغبارية أقدم .

إنّ الرقم المألوف كان شائعاً إلى وقت قريب. ففي الجزائر مثلاً كانت الصحف العربية تستخدمه ، ويتضح ذلك في "المنتقد" و "الشهاب" اللتين كان عبد الحميد بن باديس يصدرهما منذ عام 1925م وفي "البصائر" التي كان يصدرها ويحرّر فيها منذ سنة 1935م محمد سعيد الزاهري والطيب العقبي ومبارك بن محمد الميامي ومحمد البشير الإبراهيمي. وكان الرقم نفسه يكتب في الإجازات العلمية والنصب التذكارية والمقابر والمخطوطات. وحينما أصدرت الجزائر أول عملة وطنية سنة 1964م كان الرقم المألوف عليها . إنّ الأرقام الغبارية لم تشع إلا في بعض الأجزاء من العالم العربي، ولم تعرف إلا في بعض المخطوطات "[1].

---

[1] الدكتور قاسم على سعد ، الأحمدية ، العدد 3،ص263.

[1] الدكتور أحمد مطلوب ، الأرقام العربية ،ص15-19.

ويقول الدكتور عدنان الخطيب:"والمكتبة العربية لا تزخر بالكتب المطبوعة بالحروف العربية والأرقام المشرقية في مطابع المغرب وتونس أيام احتلالهما فحسب، بل تزخر بكتب طبعت في مطابع الجزائر واحتلالها يعود إلى زمن سحيق حتى إن الجزائر ما كادت تستعيد استقلالها وبراثن الاستعمار مطبقة عليها، إلا وأسرعت إلى طبع أوراق نقدها وصك عملتها المعدنية يزينها الرقم الذي يدل على قيمتها بصورته المشرقية . على أنَّه لا بد من الإشارة إلى أنّ المطابع في أقطار المغرب العربي وجل مطبوعاتها بالحروف اللاتينية ، كانت تستهل في مطبوعاتها بالحروف العربية حشر الأرقام الغبارية بينها ، وهذا قبل أن تعتمد حكوماتها هذه الأرقام في إدارتها ومدارسها ، وقبل أن يفكر أحد في أعجمية الأرقام الهندية"[2].

ويقول عبد الستار أحمد فراج: "حتى تونس إلى منتصف القرن العشرين كانت تكتب أرقامها مثل ما يكتبها عرب المشرق كما قال لي ذلك الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ، وهو من كبار علماء تونس الأجلاء. ومن شنقيط التي هي الآن جزء من موريتانيا، نجد المرحوم الشيخ الشنقيطي محمد بن محمود التركزي المعروف، بابن التلاميذ علامة عصره في اللغة – نزل مصر- الذي كان من علماء العرب، سجل التاريخ في كل كتبه التي تجاوز المائة بالأرقام الهندية المستعملة في المشرق، وذلك في سنة 1292 حتى سنة 1321 هـ ، أما كتابته للكلمات فكانت على الطريقة المغربية، التي تتميز بأنّ الفاء لها نقطة من أسفل ، وأن القاف لها نقطة واحدة من أعلى، وهذا يدل على أنه تعلَّم في المغرب فلا يقال أنه تعلّم في المشرق واستعمل أرقام المشارقة"[1].

وتأكيداً لما ذكر فإنّ كتاب "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمستان" لابن مريم التلمساني، طُبع في الجزائر في المطبعة الثعالبية بعناية الأستاذ محمد بن أبي شنب، وأرخت هذه الطبعة بالأرقام المشرقية ، وكان ذلك سنة 1326هـ -1908م - كذلك صنع بأرقام صفحاته وحواشيه وفهارسه. وفي مدينة الرباط بالمغرب صدر عن المطبعة المغربية الأهلية بدرب الفاس كتاب :" إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس" لمؤرخ المغرب نقيب الأشراف العلويين بمكناس عبد الرحمن بن محمد المعروف بإبن زيدان في سنة 1347هـ - 1929م وقد سُجلِّت طبعته الأولى بالأرقام المشرقية . كما صدر عن معهد الأبحاث العليا المغربية بالرباط كتاب " التشوق إلى رجال التصوف " ليوسف بن يحيى الشاذلى المعروف بابن الزيات ، لعناية " أدولف فور" الأستاذ بمعهد الأبحاث العليا المغربية في سنة 1958م –1378هـ . ودونت فيه أرقام الصفحات والحواش والفهارس بالأرقام المشرقية.

كما أنّ كتاب "أنس الفقير وعز الحقير" لابن قنفذ ، الذي اعتنى به رئيس جامعة محمد الخامس محمد الفاسى وأدولف فور نشره المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط سنة 1965م وكتاب فهرس أحمد المنجور الذي حقَّقه محمد حجي الأستاذ بكلية الآداب بالرباط ، ونشرته دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط سنة 1976م كان الرقم المشرقي صدراً في

---

[2] الدكتور عدنان الخطيب ، الأرقام العربية بين مشرق الوطن العربي ومغربه ،ص291.

[1] عبد الستار أحمد فرّاج، مشكلة الأرقام ،ص52–54.

تحقيقهما . وكذلك الحال في عدد من الكتب التي صدرت مؤخراً عن الدار العربية للكتاب "ليبيا – تونس" كبرنامج التجيبى بتحقيق عبد الحفيظ منصور ، نشر سنة 1981م ، ومختار القاموس للطاهر أحمد الزاوي نشر سنة 1983م.

بل إنّ كتاب المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي لابن الآبار الذي طُبع في مطبعة روفي بمجريط سنة 1885م أُرّخ ورُقِّمت صفحاته بالأرقام المشرقية . وكذلك فإن المستشرق الألماني – الإنجليزي الدكتور يوسف " جوزيف" شخت – نشر له الأستاذ خير الدين الزر كلي في الأعلام صورة عن رسالة بخطه وجهها إلي القاضي عبد الحفيظ ، ولكن القاضي عبد الحفيظ المتوفى سنة 1964م كان يكتب الأرقام بالقلم المغترب كما يظهر من رسالة له بخطه نشرت صورتها في كتاب الأعلام أيضاً .

وكذلك فإنّ خطوط أهل العلم في المغرب العربي الكبير أبرز شاهد على ذلك، فكتاب منتخب الأحكام لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي أرخت نسخته المحفوظة في دار الكتب الوطنية بتونس بالأرقام المشرقية سنة 1193هـ . كما أنّ نسخة دار الكتب الوطنية بتونس من كتاب تهذيب مسائل المدونة للبرادعي أرخت بالأرقام المشرقية أيضاً سنة 1207هـ ، علماً بأن الكتابين المذكورين دونا بالخط المغربي .

كما أنّ الكاتب المؤرخ محمد الباجي بن أبي بكر عبد الله المسعودي التونسي المتوفى سنة 1297هـ ، والعالم الكاتب الوزير محمد العزيز بن محمد الحبيب التونسي المتوفى سنة 1325هـ ، والعالم المفتي المالكي سالم بن عمر بو حاجب التونسي المتوفى سنة 1342هـ ، وغيرهم من العلماء والفقهاء التونسيين استعملوا الأرقام المشرقية في تاريخهم وقد ذكر الأستاذ الكبير خير الدين الزركلي نماذج من ذلك في كتابه الأعلام[1] .

هذا وقد عرض الدكتور قاسم علي سعد نماذج من استعمال العلماء للأرقام المشرقية في بحثه القيم الموسوم "الأرقام العربية " ، وأكثر هذه النماذج كما قال " لأهل الحديث "الذين حملني الذَّبْ عنهم على كتابة هذا البحث" وهي ستة عشر نموذجاً :

1- سنن أبي داؤد كُتب بتاريخ 653هـ

2- صحيح ابن حبان - المتوفي سنة 739هـ.

3- الكاشف للذهبي، المتوفى سنة 748هـ. توجد نسخة بخط الذهبي وقد استعمل الأرقام المشرقية.

4- سنن الإمام المروزي ، نسخة بتاريخ الرابع من محرم سنة 784هـ.

5- النكت على ابن الصلاح للإمام أبي الفضل العراقي ، كتبت بتاريخ 793هـ.

6- مختصر الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي المقريزي كتبت سنة 795هـ.

7- الهداية والإرشاد لأبي نصر الكلاباذي ؛ كُتبت سنة 826هـ.

---

[1] الدكتور قاسم على سعد ،الأحمدية ، العدد 3،ص267.

8- الأعلام بما وقع في مشتبه الذهبي من الأوهام ، للدمشقي؛ كُتبت سنه 834هـ.

9- جزء من حديث الإمام أبي جعفر المصيعي؛ كتبت سنة 847هـ.

10- تقريب التهذيب للإمام أبي حجر ، نسخة بخط المؤلف كُتبت سنة 850هـ.

11- فوائد تمّام بن محمد الرازي ، نسحة بخط السخاوي المتوفي سنة 902هـ.

12- معجم الشيخة مريم، نسخة بخط سبط بن حجر المتوفي سنة 899هـ.

13- شرح القصيدة الغرامية في مصطلح الحديث، نسخة بخط الزرفان سنة 117هـ.

14- ورقة تمُك بخط العلامة المحدث السفاريني المتوفي سنة 1188هـ.

15- النكت على كتاب ابن الصلاح ، نسخة حدد تاريخ نسخها بالأرقام المشرقية سنة 1164هـ.

16- لوحات بخط الإمام المحدث الحسيني الواسطي كتبت سنة 1190هـ ... [1].

زعم الأصل الهندي

إنّ الذي شاع بين الناس بأنّ أصل الأرقام العربية هندي دعوى لا دليل عليها من نقل ولا عقل، ولم يستطع أحد إقامة دليل رغم محاولات بعضهم إقامة الدليل دون تعمق وإعمال فكر وإنما اعتماد على الظن وإنّ الظن لا يغني من الحق شيئاً. يقول الدكتور أحمد مطلوب : " الأرقام التي استعملها العرب لم تكن الهندية صورة لأن العرب لم يأخذوا شكل تلك الأرقام كما هي عند الهنود على الرغم من أنّ بعض الباحثين يرجح أنّ الأرقام 4 و 5 و 6 و7 و8و9 في أشكالها الهندسية أشتقت من الحروف الأولى للكلمات المقابلة لهذه الأرقام الأبجدية الهندية البكتيرية المستعملة في شمال الهند . أما الأرقام الثلاثة الأولى 1 و 2 و 3 فيعتقد أنها جاءت على التوالي من سحبة القلم سحبة واحدة وسحبتين وثلاث سحبات متوازية".

ويظهر لنا بطلان هذا الزعم حين نرى أبا الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفي سنة 440هـ - 1048م يقول عن الهنود:

" وليس يجرون على حروفهم شيئاً من الحساب كما نجريه على حروفنا في ترتيب الجمل . وكما إن صور الحروف تختلف في بقاعهم كذلك أرقام الحساب وتسمى "أنك" . والذي نستعمله نحن مأخوذ من أحسن ما عندهم ولا فائدة في الصور إذا عُرف ما وراءها من المعاني . وأهل كشمير يرقمون الأوراق بأرقام هي كالنقوش أو كحروف أهل الصين ولا تعرف إلا بالعادة وكثرة المزاولة ولا تستعمل في الحساب على التراب".

---

[1] المرجع السابق ،ص294،280.

لقد ذكر البيروني أنّ الحروف الأبجدية والأرقام اختلفت لدى الهنود أنفسهم في إقليمٍ ما عنه في إقليم آخر، واستطاع خلال رحلاته المتعددة في الهند أن يتعرّف على علومهم ولغتهم وتبيَّن له أنّ العرب لم يأخذوا عن الهنود شكل تلك الأرقام لأنّ شكل الرقم العربي ليس كشكل الرقم الهندي[1].

ويقول في موضع آخر :" لا تحتاج الأرقام العربية إلى من يثبت أصالتها ، فقد حفظتها القرون وصانتها الطروس ، وكانت مسيرتها الطويلة دليلاً على تلك الأصالة في خضم الأحداث . ولكن ما يظهر في الأفق بين حين وآخر يدعو إلى الوقوف على الحقائق ليعرفها النشيء ويستنير بها في طريقه الطويل، وليعرف أنّ العرب قبل الإسلام كانوا يكتبون الأرقام بالحروف كما يشير إليه حجر النمارة الذي عثر عليه في أطلال النمارة بحوران ، ويؤكِّده نص أبرهة الأشرم المنقوش على سد مأرب المشهور ، وحينما نزل القرآن الكريم ذكر الأرقام بالكلمات وجاءت في آياته البيّنات صيغ مختلفة لها، فمن الآحاد قوله تعالى { ثاني إثنين} ومن العشرات قوله { تلك عشرة كاملة} وقوله {إن تستغفر لهم سبعين مرة} ومن المئات قوله { ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً} ومن الألوف قوله { فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً } وقوله {في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة } وقوله { وأنّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون}.

هذا واستعمل العرب نظام الترقيم على حساب الجمل ، فكان الألف يساوي واحد والباء إثنين والياء عشرة والقاف مئة والغين ألفاً. وعند تركيب الأعداد تضاف الحروف ، فإذا أريد الرقم "1240" كتبوا "مرغ" لأنّ الميم أربعون والراء مئتان والغين ألف.

ويتضح في هذا التقسيم النظام العشري ، فقد أقاموا الحروف على وحدات تتكون كل واحدة من تسعة أرقام . فالحروف التسعة الأولى وهي : الألف والباء والجيم والدال والهاء والواو والزاي والحاء والطاء تحمل الآحاد والتسعة الثانية وهي : الياء والكاف واللام والميم والنون والسين والعين والفاء والصاد تحمل العشرات . والتسعة الثالثة وهي القاف والراء والشين والتاء والثاء والخاء والذال والضاد والظاء تحمل المئات ويحمل الحرف الأخير وهو الغين الألف.

وهذا التقسيم يثير الاستغراب ، لأنّ العرب في تلك المرحلة لم يتصلوا بالهنود. ولا يمكن تفسير ذلك إلا بالقول بأنّ النظام العشري غير منقول عن الأمم الأخرى، وإنما هو أصيل عرفه العرب في بيئتهم" [1].

من زعم الأصل الهندي؟:

قد يتساءل الباحث من أين جاء هذا الزعم ؟ ومن الذي تولى كبره؟ ومن الذي تبناه وروَّج له؟.

إنّ أول إشارة للأرقام الهندية هي التي ذكرها الراهب السرياني (سيبخت) الذي كان في دير قنسرين ، في كتاب له وضعه في سنة 622م وهذه السنة توافق عام هجرة نبينا (صلي الله عليه وسلم)، منوهاً بعلوم للهند غفل الناس عنها ، ومن ذلك أنهم بتسع إشارات فقط يرمزون إلى أي عدد كان "[1].

ثم تلقف الناس هذا وبنوا عليه أباطيل ، خاصة الشعوبية التي لا تريد نسب فضل للعرب.

---

[1] الدكتور أحمد مطلوب، الأرقام العربية ،ص13.

[1] المرجع السابق ص9،10.

[1] الدكتور قاسم على سعد ، الأحمدية ، العدد 3،ص290.

والصواب كما حقَّقه المحقِّقون الذين اقتبسنا أقوالهم في هذا البحث أنّ العرب هم الذين وضعوا هذه الأرقام وأخذها منهم الهنود وغيرهم من الأمم في سالف الدهر كما أخذها الأوربيون بآخره.

منشأ الأرقام العربية:

لقد ذهب الدكتور عدنان الخطيب إلى أنّ منشأ الأرقام العربية كان صور حروف الأبجدية العربية ، وليس الأشكال والرموز التي كان الهنود يستخدمونها كما يزعم بعض الباحثين بلا دليل، وأنّها لم تقم على تعداد الزوايا التي تحتويها صورة كل حرف.

ويبدو لى أنّ ما ذهب إليه الدكتور عدنان هو الصواب لأنّ الشبه واضح بين الحروف العربية والأرقام العربية، ولقد رأيت في أقدم المخطوطات رقم "4" عبارة عن حرف العين هكذا "ع". وواضح أن الواحد هو حرف الألف والإثنين هو حرف العين كما أنه يشابه الغين والباء والتاء والثاء والنون والياء والدال كل هذه الحروف تشبه الإثنين والأربعة.

أما الثلاثة فهي صورة من السين والشين وكذا الحروف التي تشبه الإثنين والأربعة. أما الخمسة فهي عقدة الفاء والقاف والميم والهاء والواو. والستة هي الجيم والحاء والخاء فرجت فتحتها . والسبعة ألفان التقيا من أسفل أما الثمانية فألفان التقيا من أعلى ، والتسعة هي الواو كما تشابه الفاء والقاف والميم.

قرارات:

أود أن أختم هذا البحث بذكر قرار المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الحادية والعشرين عام 1403هـ في هذا الموضوع المتضمن أنّه لا يجوز تغيير رسم الأرقام العربية المستعملة حالياً إلى رسم الأرقام المستعملة في العالم الغربي للأسباب التالية:

أولاً: إنه لم يثبت ما ذكره دعاة التغيير من أنّ الأرقام المستعملة في الغرب هي الأرقام العربية ، بل إنّ المعروف غير ذلك ، والواقع يشهد له ، كما أنّ مُضي القرون الطويلة على استعمال الأرقام الحالية في مختلف الأحوال والمجالات يجعلها أرقاماً عربية ، ولقد وردت في اللغة العربية كلمات لم تكن في أصولها عربية وباستعمالها أصبحت من اللغة العربية حتى أنه وُجد شيء منها في كلمات القرآن الكريم وهي التي توصف بأنها كلمات معربة.

ثانياً: إن الفكرة لها نتائج سيئة ؛ وآثار ضارة، فهي خطوة من خطوات التغريب للمجتمع الإسلامي تدريجياً ، يدل على ذلك ما ورد في الفقرة الرابعة من التقرير المرفق بالمعاملة، ونصها:"صدرت وثيقة من وزارة الإعلام في الكويت تفيد بضرورة تعميم الأرقام المستخدمة في أوربا لأسباب أساسها وجوب التركيز على دواعي الوحدة والثقافة والعلمية وحتى السياحية على الصعيد العالمي".

ثالثاً: إنها – أي هذه الفكرة- ستكون ممهدة لتغيير الحروف العربية واستعمال الحروف اللاتينية بدل العربية ولو على المدى البعيد.

رابعاً: إنها – أيضاً- مظهر من مظاهر التقليد للغرب واستحسان طرائقه.

خامساً: إنّ جميع المصاحف والتفاسير والمعاجم والكتب المؤلفة ، كلها تستعمل الأرقام الحالية في ترقيمها أو في الإشارة إلى المراجع ، وهي ثروة عظيمة، هائلة ، وفي استعمال الأرقام الأفرنجية الحالية عوضاً عنها ما يجعل الأجيال القادمة لا تستفيد من ذلك الميراث بسهولة ويسر.

سادساً:ليس من الضروري متابعة بعض البلاد العربية التي درجت على استعمال رسم الأرقام الأوربية فإنّ كثيراً من تلك البلاد قد عطَّلت ماهو أعظم من هذا وأهم وهو تحكيم شريعة الله وهي كلها مصدر العز والسيادة والسعادة في الدنيا والآخرة ، فليس عملها حجة .

وفي ضوء ما تقدَّم يقرّر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي ما يلي:

أولاً: التأكيد على مضمون القرار الصادر من مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في هذا الموضوع والمذكور آنفاً ، والمتضمن عدم جواز تغيير الأرقام العربية المستعملة حالياً في العالم الغربي ، للأسباب المبينة في القرار المذكور.

ثانياً: عدم جواز قبول الرأي القائل بتعميم رسم الأرقام المستخدمة في أوربا بالحجة التي استند إليها من قال ذلك ، وذلك أنّ الأمة لا ينبغي أن تدع ما اصطلحت عليه قروناً طويلة لمصلحة ظاهرة وتتخلى عنه تبعاً لغيرها.

ثالثاً: تنبيه ولاة الأمور في البلاد العربية إلى خطورة هذا الأمر، والحيلولة دون الوقوع في شرك هذه الفكرة الخطيرة العواقب على الميراث العربي والإسلامي.

والله ولي التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم "[1].

أمل ورجاء

إني لأرجو أن يتبنى معهد إسلام المعرفة العمل الجاد والفوري على تأصيل الأرقام العربية بالرجوع إلى الأرقام المشرقية التي وضعها العرب قبل ملايين السنين كما يرجح المحققون من الباحثين حسب ما رأينا في ثنايا هذا البحث ، لقد بذل معهد إسلام المعرفة مشكوراً جهوداً مقدرة غير منكورة في تأصيل جميع العلوم. وفي تقديرنا أنّ تأصيل الأرقام لا يقل أهمية من تأصيل العلوم الأخرى ، إذا لم يزد عليه ، لأنّه الباب الذي يدخل منه التغريب ليقضي على كل جهود التأصيل لا سمح الله بذلك . ويا حبذا لو بدأ المعهد بنفسه ومحا بالسرعة المستطاعة كل الأرقام المغتربة من جميع كتاباته.

والرجاء والأمل موصول لأن يحذو المجمع الفقهي السوداني حذو المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي ويصدر قراراً مماثلاً . وكذلك هيئة علماء السودان، لأنّ على هؤلاء جميعاً مسؤولية دينية وأخلاقية ووطنية أمام الله وأمام الوطن وأمام الأمة الإسلامية بكاملها . وقبل هذا وبعده أمام العقل والضمير.

---

[1] قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي لدورته الأولى حتى الثامنة ،ص129 ،132.

المراجـــــع

1- القرآن الكريم.

2- الدكتور أحمد مطلوب : الأرقام العربية ، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة ، سنة 1403هـ - 1973م.

3- ألبرت ديتريش: دور العرب في تطور العلوم الطبيعية ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد 46- الجزء 4.

4- دانيال فان دار ميولين : حضرموت ، والدكتور .

5- زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، سنة 1401هـ

6- الإمام الطبرسي : مجمع البيان.الإمام الطبري .

7- الإمام الطبري : جامع البيان ، طبعة دار الكتب ، المجلد العاشر ، سنة 1992م.

8- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، دار القلم الطبعة السابعة.

9- الإمام عبد الله بن علوي الحداد : تثبيت الفؤاد ، عاطل عن محل الطباعة وتاريخها .

10- القاضي عبد الله بن عبد الوهاب : اليمن ، الإنسان والحضارة ، المجاهد الشماصي عالم الكتب، سنة 1972م.

11- عبد الستار أحمد فراج : مشكلة الأرقام ، مجلة العربية الكويتية ، العدد 186 سنة 1394هـ .

12- عبد العزيز بن عبد الله : العالم متجه نحو استعمال الأرقام العربية المغربية مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف بالرباط ، السنة 20- العدد9.

13- الدكتور عدنان الخطيب : الأرقام العربية ، مجلة شؤون عربية ، جامعة الدول العربية، العدد11.

14- الدكتور على محمد ومحمد شريف : أساليب الغزو الفكري .

15- على عبد الله الدفاع : الموجز في التراث العلمي العربي الإسلامي ، الناشر جون وايلي بنيويورك، سنة 1979م.

16- السلطان غالب بن عوض القعيطي : تأملات عن تاريخ حضرموت، مكتبة كنوز المعرفة ، الطبعة الأولى سنة 1417هـ - 1996م.

17- الدكتور قاسم السامرائي : تاريخ الخط العربي ، عالم الكتب بالرياض ، المجلد 16- العدد 6.

18- مجلة الأحمدية ، الأمارات العربية ، دبي ، العدد الثاني 1419هـ 1998م. والعدد الثالث 1420-1999م.

19- المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي : قرارات المجلس ، الدورة السابعة ، القرار الثامن ، مطبعة رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة سنة 1403هـ

20- الدكتور محمود عبد الحكيم بخاري : الأرقام العربية ، مطابع الصفا بمكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، سنة 1414هـ.

21- الدكتور محمود فهمي زيدان : في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية بيروت سنة 1405هـ 1985م.

22- محمد السمان : أرقامنا العربية ، مجلة الكويت ، السنة 9- العدد 92

23- الإمام النسفي : مدارك التنزيل.

24- وزارة الأعلام في دولة الكويت : الأرقام العربية ، مجلة اللسان العربي، جامعة الدول العربية ، المجلد 12.